

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵎⵓⵔⵓⵔ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔⵉ ⵔⵉⵣⵓⵣⵓ

ⵏ ⵙⵉⵎⵓⵔ ⵓⵏ ⵙⵉⵔⵉⵎ ⵏ ⵙⵉⵔⵉⵎ ⵏ ⵙⵉⵔⵉⵎ

ⵏ ⵙⵉⵎⵓⵔ ⵓⵏ ⵙⵉⵔⵉⵎ ⵏ ⵙⵉⵔⵉⵎ ⵏ ⵙⵉⵔⵉⵎ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et Littérature Arabes



جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة سخر نيل شهادة الماسر

الميدان: لغة وأب عربي.

الفرع: أب عربي .

المخصص: أب عربي حديث و معاصر

البنية السردية في رواية "عائد الى حيفا" لغسان كتفاني

تحت إشراف الأستاذ:

- د/ اونس شعبي

من إعداد الطالبين:

- جوه قذافي

- كريمة كدة

نص المناقشة :

- أيد عبد القادر صلاح ، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو رئيسا
- أيد اونس شعبي، أستاذ محاضر (أ)، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... مشرفا ومقررا
- أيد نسيمه الطوي، أستاذة محاضرة (ب)، جامعة مولود معمري تيزي وزو..... ممتحا

العملية الدرامسية: 2017-2018

كلمة شكر

"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم"

اللهم ربنا لك الحمد والشكر لما خلقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا ووفقتنا،

لك الحمد.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء

والمرسلين وعلى اله وصحبه إلى يوم الدين .أما بعد

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف "الوناس شعباني " الذي لم

يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوناً لنا في إتمام هذا البحث.

ونشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة والى كل هؤلاء تحية

وتقدير وعرفان

إهداء

إلى أستاذي ووالدي أ.د شعباني الوناس ، حفظه الله، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث بصدر رحب وتوجيه سديد، استندت من علمه وتوجيهه وتواضعه الجم، اسأل الله أن يجزيه عني خير ما جزى، وأن يرزقه دوام الصحة والعافية.

إلى من علمتني معنى الحب ريحانة قلبي سند حياتي بابتسامتها وعونها ودعواتها التي بفضلها استطعت تحمل أعباء الحياة - أمي الغالية حفظها الله -

إلى من رباني وأحسن تربيته وسعى من اجل إرضاء حاجتي - أبي أطال الله في عمره -

إلى من أنار دربي وأعانني بالصلوات والدعوات، إلى اغلي إنسان املكه في الوجود خالي "أعمر" العزيز - حفظه الله -

إلى أغلى صديقة ورفيقة وقفت معي في السراء والضراء - أختي الصغيرة فائزة-

إلى كل اخواتي و اخواني حفظهم الله

إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من قريب او من بعيد

جواهر

إهداء

إلى اقرب الناس إلى قلبي وألأهم بحبي، من وسعتني رحمتها صغيرة وأسعدتني كثيرا، أتمنى من المولى عز وجل أن يسكنها فسيح جنانه "أمي الغالية" الى أستاذي الفاضل الدكتور "شعباني الوناس" الذي وجهنا كثيرا وساعدنا في انجاز هذا البحث.و إلى أبي الحبيب .إلى زوجي العزيز والى كل أخواتي وإخواني والى جميع الأصدقاء اللذين ساعدوني في إتمام هذا البحث.

كريمة

مقدمة:

عرفت الرواية العربية تطوراً كبيراً و انتشاراً واسعاً، مما مكنها أن تحتل مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية الحديثة. نتيجة املاكها مقومات التأثير في المجتمع و التغيير فيه، و قامت حولها عدة دراسات في مختلف مكوناتها. ولهذا جاءت هذه الدراسة الموسومة "بالبنية السردية" في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني" ، يعود سبب اختيارنا لهذه الرواية من إحساسنا بمعاناة الإنسان المهجر من وطنه. فنتبعناها باهتمام دون انشغال لوجود وجه الشبه بين ما عاشه الجزائري عندما اغتصبت أرضه وما يعيشه الفلسطيني ، إنها قضية لاحتلال و الإيمان بالعودة إلى الوطن.

إن الإشكالية التي طرحتها الرواية تتمثل في مسألة العودة ، يؤكد الكاتب أن الذين أخرجوا من ديارهم سيعودون يوماً ما ، تدخل هذه الرواية فيما يسمى أدب القضية كون يافا و حيفا و فلسطين قد اغتصبهما الكيان الصهيوني بتشجيع من وعد بلفور المشؤوم ، ولذا نرى الكاتب يطرح مسألة العودة إلى جزء من فلسطين وهو لا يريد الجزء ولكنه أراد أن يؤكد على الارتباط بكل شيء من أرضه. وعليه يغدو الجزء رمزا لكل الوطن المسلوب.

نتتبع في هذه الرواية خيوط هذه القضية الشائكة في التاريخ المعاصر كما رسمتها ريشة فنان، انه عمل يدخل في أدب الالتزام.

و لإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا خطة تضمنت: مقدمة، وفصلين وخاتمة.

في الفصل الأول نتناول تقديم الرواية، نبذة عن الكاتب، ما نقوله الرواية، مفهوم

الحدث، الشخصيات.

أما الفصل الثاني الموسوم بالبنية الفنية للرواية سيكون الحديث فيه عن السرد، وظائفه و أنواعه ، الحوار، دراسة اللغة ، مفهوم الزمن وتجلياته في الرواية ، مفهوم المكان وتجلياته في الرواية ، اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المراجع و المصادر.

- الرواية عائد إلى حيفا لغسان كنفاني

- حميد الحمداني بنية النص السردي من المنظور النقدي الأدبي.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في دراستنا لهذا الموضوع و التي تتمثل في قلة

المراجع و تشابهها.

في الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بعميق شكرنا لأستاذنا الفاضل "الدكتور الوناس شعباني "

ونتمنى أن نكون قد وفقنا بفضل توجيهاته ، و المعرفة التي أمدنا بها في هذه الدراسة.

1- تقديم الرواية "عائد إلى حيفا":

تتتمي رواية "عائد إلى حيفا" من حيث حضورها لإبداعي إلى الأدب الفلسطيني، حيث صدرت طبعتها الأولى عام 1969 أي بعد النكسة العربية، و الطبعة الثانية عام 1980، و الثالثة سنة 1985، وفي سنة 1987 صدرت الطبعة الرابعة وفي 2001 الطبعة الخامسة، وسنة 2004 صدرت الطبعة السادسة.

ترجمت الرواية إلى العديد من اللغات لأجنبية اللغة اليابانية سنة 1969، و إلى اللغة الانجليزية و الروسية سنة 1969، و إلى اللغة الفرنسية 1991، كما أنها حولت إلى عمل سينمائي أكثر من مرة.

تحكي الرواية قصة سعيد وزوجته صفية في عام 1948، حيث هاجم الصهاينة مدينة حيفا، وفي لمح البصر وضعوا أهلها في قوارب و أرسلوهم إلى المجهول، ولم يكن لهم الوقت لأخذ أشيائهم من البيوت، مثل الكثير من السكان وتركوا ابنهما خلدون ورائهما، وبعد عشرين سنة يقرر سعيد في لحظة شجاعة وصفية في لحظة حنين لمواجهة هذا الماضي المؤلم، بحثا عما تركاه من آثار مادية ليجدا أن البيت والولد أصبحا تابعين لسيدة يهودية تسلمت آثار سعيد و صفية، من الوكالة اليهودية، و لأمر من ذلك يكتشفان أن خلدون أو "دوف" يخدم في الجيش الإسرائيلي.

فالرواية تروي أحداث جريمة عالمية تم فيها اغتصاب ارض عربية وتشريد شعب
بأكم له أمام أعين الجميع، وتحمل في طياتها الكثير من الانفعالات و القيم عن الوطن
وسرقة الماضي والحاضر والمستقبل والأرض و التاريخ.
وقد استطاع غسان كنفاني أن يناقش بكل جدارة أصعب القضايا عن الإنسان
الفلسطيني بشكل خاص والإنسان المهجر بشكل عام (الوطن، القضية، والعودة) هذه القضايا
الشائكة جدا.

استطاع كنفاني بحبكة درامية روائية بسيطة تكمن بساطتها في:

1- طبيعة القضية.

2 اتجاه الأدبي الذي اعتمده كنفاني و لذا كان المشهد الفني فيه باهتا.

2- نبذة عن الكاتب:

لقد كان غسان كنفاني قائداً مناضلاً، سياسياً، باحثاً، دارساً ورساماً في ان واحد، ولد كنفاني في التاسع من نيسان عام 1936 في مدينة "عكا" بفلسطين، العام الذي خضب بدماء كل فلسطيني حر، دفق دمه وعرقه من أجل تحرير أرضه أو أمه التي افتقدها.

عاش كنفاني حياة الاستقرار يعاني من جميع معضلات الحياة، بما فيها الفقر والجوع واليأس وفقدان الأمل والتغرب، إلى جانب إصابته بمرض السكري، الذي ظل يهدده طوال حياته حتى سئم وأصبح ينتابه شيء من القلق والخوف من قرب لأجل دون تحقيق ما كان يرمي إليه منذ طفولته.

كان غسان كنفاني البطل الثوري الذي يتجول في مخيمات اللاجئين يتفقد أوضاعهم، قد فضل حياة الجماعة الاشتراكية على المكوث بمفرده، ولهذا أجردت تلك الفردية من هذا الجسد المشتعل والقلب النابض، والعقل المتوقد، فقد كان يهوى مصاحبة الجماعة وهي مجاله الرئيس، تمثل كل شيء في حياته، فهو ينتمي إلى الطبقة الفقيرة والمرماة في مخيمات البؤس التي عاش فيها ومعها.

كما يعتبر كنفاني واحداً ممن تحملوا المسؤولية باكراً، حيث اضطر للعمل من أجل إعالة أسرته التي كانت تعيش في ظروف سيئة جداً، كما أنه شارك في الثورة وهو لا يزال صبياً، فهو يمثل الآلاف من الشباب الفلسطيني الذين حملوا مسؤولية الدفاع عن الوطن وعن القضية الفلسطينية.

كانت حياته مليئةً بالأسفار و الرحلات من وطن لآخر، ومن أرض لأخرى، فقد رحل من "عكا" إلى "يافا" وهو لا يتجاوز الثالثة من عمره، وهناك أقام وعاش حيث استقرت أسرته في حي "المنشدية" وكان تحصيله الأول في مدرسة الفريد الفرنسية بيافا، وكانت بدايته توجي له بالزهو والمرح، ولا يعلم ما ينتظره من الفزع والقرح.

ولقد انتقلت أسرته إلى "عكا" مرة أخرى بسبب هجمات الصهاينة لهم، مكثت بها بضعة أشهر لكنها لم تتجوا من شرارة العدو اللئيم، مما دفعه هو وعائلته إلى الانتقال واللجوء مرة أخرى إلى لبنان.

وهكذا ظلت أسرته تعاني الفقر وعدم الاستقرار ولانتقال حتى بلغت دمشق، تاركة بيوتها وممتلكاتها وأراضيها.

كان هذا البطل الفلسطيني ذا رغبة ملحة في إشعال نار اليقظة في القلوب، أي في قلب كل فلسطيني من أجل تحرير هذا الوطن المغتصب الذي كادت أن تحطمه أيدي العدو الشرس، وكانت دعوته هذه من أجل استعادة الحرية، وبالرغم من أن عمره قصير، إلا أن أعماله طويلة ودائمة، وظل كذلك مؤثرا ومتأثرا وناطقا رسميا باسم مجلة "الهدف" حتى وفاته بحادثة مفنعة.

أعماله:

قدم لنا غسان كنفاني حالة الشعب الفلسطيني، وما آل إليه بعد الضغوطات الصهيونية و عملية التشريد و التعذيب، ومن التغريب وعدم الاستقرار ولاحتقار.

وقد كان مصير شعبه، هذا الدافع الأساسي الذي شجع غسان على إقامة عدة محاولات في مجال كتابة القصص والروايات للتعبير عما يخالجه.

كان دور غسان في الثورة مزدوج الفعالية، حيث كان يكافح بالقول والفعل، وهذا ما تأكد سنة 1965 حيث أصبح عضوا في حركة القوميين العرب، وكانت بدايته عندما نصب كمحرر في جريدة "الحرية" سنة 1960.

تزوج غسان كنفاني ب"أنى هوفر" هذه المرأة الدانيمركية التي كانت سندا له طوال حياته، والتي اهتمت بالقضية الفلسطينية اهتماما كبيرا، فقد تعرف عليها غسان في احد المؤتمرات عام 1961، بعد ذلك دعاها إلى زيارة كل الدول العربية، بما فيها المخيمات

و لاستشهاد في سبيل هذه الأمة لأصيلة و القائمة إلى الأبد، فهو ممن يرفضون الجمود . وهكذا ظل حتى صار في مرحلته الثانوية، أي المرحلة التي بدأت فيها ملامح الاستقرار والثبات تظهر، فلقد انخرط في سلك السياسية، وهو لا يزال شابا في مخيم اللاجئين، ولقد دخل في سلك التعليم سنة 1952، وشغل منصب المعلم في أحد هذه المخيمات وهو لا يتجاوز الستة عشر عاما، ولقد منحه المرحلة الأولى من حياته الفعالة في دمشق حياة المنفى والمعاناة في المخيم ألا وهي حياة الاغتراب والشعور بالظلم والاحتقار .

ولطالما اعترضته مضايقات من قبل زملائه، فكان موضوع سخرية بسبب ضعف لغته العربية، ولكنه مع ذلك استطاع أن يظفر بها ويتقنها من جديد، فهذه المعاناة شجعتة على التحمل والتسلح بالصبر، بل وجعلته يواصل دراسته حتى حصل على شهادة البكالوريا،

ثم دخل جامعة "دمشق" قسم الأدب العربي حيث درس ثلاث سنوات فصل بعد ذلك لأسباب سياسية.

ومن أهم خصوصيات غسان التوتر والقلق والحركة المستمرة، فقد توصل بفضل جهوده إلى إثبات وجوده ووجود وطنه وكرامته، وبذلك انصرف يجاهد في سبيل تحرير أرضه بغية تحقيق التوازن بين القول والفعل الثوري، فأخذ في إشعال نيران الحرب وهو الوسيط الأساسي لتفوقه في شتى المجالات.

كان غسان كنفاني طوال حياته القصيرة نشيطاً وفعالاً في نضاله السياسي في عمله في الصحف. كان يؤلف القصص القصيرة والروايات والمسرحيات ويقوم بدراسات مختلفة في مجالات متعددة، وكانت معظم مقالاته نداءً للفلسطينيين من أجل القضية.

شغل منصب رئيس تحرير جريدة المحرر ذات الاتجاه الناصري من 1963 إلى 1967، وهذه الفترة تدل على أن أعماله تمثل بالفعل المرحلة الانتقالية في بحثه عن تحديد إيديولوجي واضح، لقد كان يدرك دائماً أن فلسطين لن تتحرر ما لم يتحرك الفلسطيني بإرادته الحرة على طريق تحرير، ذاته، ان هذا التطور الإيديولوجي الذي لازم المسار التاريخي لمصير الشعب الفلسطيني، يلتقي مع انطلاق الثورة الفلسطينية عام 1965 كهدف لتحقيق الاستقرار و الأمان.

فإذا كانت أم هي لأرض المفقودة، وجدنا أن غسان الذي نفي من أرضه تنتابه هواجس الموت والحياة، وكان نفس هاجس الفلسطينيين العتيق بالحياة، وإيمانهم بها من أجل تحقيق الهوية الفلسطينية.

فيما بين سنة 1959-1960 ظهرت له عدة أعمال بقيت خالدة الى يومنا هذا .
وبعد حرب الستة أيام 1967، بدأ غسان مرحلة الكاتب والمناضل الثوري، حيث عمل
في "الأنوار" (1967-1969)، واستقر فكره السياسي ولايديولوجي، إذ أصبح ماركسيا، قائد
في الثورة الفلسطينية، الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إلى جانب
مهام رئيس تحرير مجلة "الهدف" عام 1969، وهي اللسان المركزي للجبهة، حيث أسهم
في كتابة برامجها صلة الوصل بينها وبين الحركات الثورية في العالم.

وقد مرت أعمال غسان بثلاث مراحل في حياته:

1. مرحلة المنفى.

2. الأمل في العودة إلى الأرض الأم.

3. مرحلة الاستقرار.

وكانت له مجموعة كبيرة من القصص والروايات نالت إعجاب الكثير من الكتاب
والزملاء، ومنها المجموعة الأولى التي تعبر عن الشعور بالمنفى والعذاب منها: "موت سرير
رقم 12" التي تضم مجموعة من القصص القصيرة حيث تتجه الرؤية نحو الماضي وتبقى
مشلولة أمام تعاسة الحاضر، وهي "البومة في غرفة بعيدة- لؤلؤة في الطريق"، شيء لا
يذهب- منتصف أيار- رسالة إلى ميت" وهذه القصص كلها باعثة على الحزن.

إلى جانب مجموعة أخرى مثل قصة "كعك على الرصيف" وهذه القصة صورة من
سيرة الكاتب الذاتية، حيث قدم لنا الكاتب صورة مزدوجة تعبر عما سبق ذكره في العنوان

(كعك على الرصيف)، ألا وهي صورة ماسح لأحذية الذي يدعي أنه بائع كعك، بينما هو في الحقيقة يقضي كل وقته راكعا على الرصيف لمسح الأحذية.

وكذا قصة "في جنازتي" التي تتضمن رسالة الوداع التي يكتبها المشرف على الموت لحبيبته التي خانته بآخر، وفي عام 1961 ألف رواية "اللوتس الأحمر" التي نالت نجاحا كبيرا.

في هذه المرحلة أيضا ظهرت رواية "ارض البرتقال الحزين" والقصص التي احتوت عليها هذه المجموعة تميزت بميلها نحو تحول باتجاه الحاضر وهي: (الأفق وراء البوابة- ثلاثة أوراق من فلسطين).

أما المرحلة الثانية (الانتقالية): فهي تمثل أول إشارة نحو العودة ومنها نجد رواية "رجال في الشمس" وهذه الرواية تعيد صياغة التاريخ في السنوات العشر التي تلت النكبة، وقد ظهرت سنة 1962، وهذه الرواية ليست كاملة بالمعنى الأدبي، بل فيها ملامح القصة القصيرة، ونجد فيها صورتين فنييتين مترافقتين ألا وهي: (صورة لأرض الخضراء وصورة الصحراء القاحلة).

والرواية التي تلتها هي "عالم ليس لنا" والتي كتبت عام 1965، وظهرت أيضا مجموعة من القصص لأخرى وهي: (جدران من الحديد - كفر المنجم).

والمرحلة الأخيرة بدأت في بيروت، وكانت تتجه نحو لاستقرار لاجتماعي وإيديولوجي أيضا، ضمت مجموعة من القصص والروايات من بينها (ما تبقى لكم في سنة

. (1966)

وفي هذه الرواية اكتملت جميع عناصر الرواية، وأعطت مضمونا شاملا للتحول

السياسي في هذه الفترة.

وفي سنة 1968 ظهرت رواية "عن الرجال والبنادق" وهي تحكي الماضي البطولي

بكل ايجابيته، أما سلبياته فهي عبرة لمن يعتبر أو لحاضر بدا التنظيم الثوري يأخذ مداه.

كما نجد مؤلفات أخرى مثل روايتي "عائد إلى حيفا" التي هي موضوع دراستنا و"أم

اسعد" سنة 1969، ومجموعة (العاشق الأعمى - الأطرش وبرقوق نيسان)، بدأها ولم يكملها،

وكان ذلك في سنة 1966، وفي هذه الفترة تلمس التحام تاريخ النضال والصمود في التحام

المقاتل الفلسطيني على امتداد هذا التاريخ.

مات جسد غسان كنفاني وبقيت روحه الأدبية على قيد الحياة بين أحضان مؤلفاته وقرائه.

3- ما تقوله الرواية:

تصور لنا الرواية مأساة ومعاناة الشعب الفلسطيني، وما لقيه من عذاب وألم جراء الحرب مع الصهيوني الإسرائيلي، فالشعب الفلسطيني فرض عليه التشرد والنفي من وطنه، فقد سلبت منه أبسط الحقوق وهو حق العيش.

رغم كل هذه المعاناة التي عاناها الشعب إلا انه مازال يناضل من اجل الحرية وذلك بتمسكه بالأمل، أمل العودة وعودة للاستقرار والعيش بحرية، فالوطن بالنسبة له الماضي والحاضر والمستقبل ولن يهنأ له خاطر حتى يسترجع ما اخذ منه وهي أرضه الحبيبة واسترجاع هويته التي نهبت منه.

فرواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني تروي لنا قصة عائلة فلسطينية عانت وذاقت مرارة الفراق والعذاب، فرقة الوطن والنفي منه وعذاب فرقة الابن، وهذا الألم تعيشه كل الأسر الفلسطينية بسبب الاضطهاد الذي يمارسه العدو في حق شعب اعزل من السلاح.

ومن بين تلك العائلات عائلة سعيد(س) وزوجته صفية اللذين تركا حيفا هاربين من القمع والحرب، تاركين وراءها ابنتهما الصغير وحيدا في البيت وهو ذو خمسة أشهر، تركوه وحيدا ليواجه مصير الوحدة.

فهذه العائلة عانت هذه الحرقه طوال عشرين سنة، ففكرة فقدانها لابنتها لم تفارقهما، رغم أنهما رزقا ب"خالد" و"خالدة" اللذين لا يعرفان بحقيقة وجود أخيهما خلدون، فسعيد(س) وزوجته صفية أخفيا وجود أخ أكبر لهما تركوه في حيفا.

شعر سعيد(س) وزوجته صفية بالحنين إلى الوطن القديم "حيفا" وإلى بيتهم القديم، خاصة بعد فتح الحدود بين أراضي الضفة الغربية والحدود الإسرائيلية، لكن عند وصولهما لـ"حيفا" استرجعا ذكرياتهما دفعة واحدة، تذكرنا الشوارع والطرق وكل الأماكن كأنهما لم يتغيبا عنها عشرين سنة، فحيفا القديمة هي نفسها بعد عشرين سنة لم يحصل أي تغيير فيها، فقد تذكرنا ابنتهما الصغير الذي تركوه، فقد جاء القصف من الشرق، تلك المدينة الهادئة التي كانت لا تتوقع شيئاً وذاقت ذلك القهر والمعاناة.

بعد مرور عشرين عاماً لم يدركا بأن ما ينتظرهما كان صعباً، خيبة وحسرة وندم، فبيته أصبح لعائلة يهودية وأعطى الولد كهدية لهم من قبل الوكالة اليهودية.

عند ذهاب سعيد(س) وزوجته صفية لرؤية بيتهم القديم ، استقبلهم العجوز بكل فرح، لكنهما بدا ينظران إلى الأشياء القديمة والتي كانت ملكا لهما يوماً ما، وبدا منزعجا وبدأ يصرخ في وجه العجوز إلا أن تلك العجوز هدأت من روع سعيد وزوجته ودعتهما لشرب القهوة، وانتظار ابنتهما خلدون الذي غير اسمه إلى "دوف"، شرعت العجوز بالحديث عن حياتهما وكيف أخذت بيت سعيد وأعطى مع البيت ذلك الطفل الصغير. فقد اعتبرت ميريام ذلك الطفل هبة إلهية خاصة أنها لم يكن بمقدورها إنجاب الأولاد.

فقد كان غرض ميريام من تلك المفاجئة هي إظهار الاهتمام وحبها لدوف وأنها لن تتخلى عنه، فهذه عبارة عن مكر الإسرائيليين حيث اتبعوا سياسة الخبث والمكر والسيطرة، لذلك أرادت من تلك المفاجأة مواجهة خلدون بوالديه الحقيقيين لأن ذلك مشكلة بالنسبة لها خاصة بعد وفاة زوجها ظلت وحيدة، هي والابن الذي تبنته، لذلك تكلمت صفية لأنها واعية

بفكرة العجوز وقالت بأن خلدون سيختار والديه الحقيقيين، فهو بنظرها لن يتكرر لنداء اللحم والدم، لكن زوجها كان عكسها تماما، فقد رأى بان استرجاع ابنهما من المستحيل خاصة أن هذا الولد تربي وتشبع بعادات وعقيدة اليهود وأنه أصبح ضابطا في الجيش الإسرائيلي.

فقد دار هذا الحديث بين سعيد(س) وزوجته صفية ومiriam مربية ابنهما، إلى أن دخل خلدون وفي يده قبعة، فهو شاب طويل وقامت Miriam بتقديمه لعائلته الحقيقية، لكنه تنكر لها، ولم يعترف بهما وأصبح يلومهما خاصة بعد إدراكه بأنهما عريان، ودار بينهما حوار حاد بين سعيد وخلدون "بعد أن عرفت أنكما عريان كنت دائما أتساءل بيني وبين نفسي: كيف يستطيع لأب والأم أن يتركا ابنهما وهو في شهره الخامس ويهربا؟ وكيف يستطيع من هو ليس أمه وليس أباه أن يحتضناه ويربياه عشرين سنة¹" فخلدون يحمل الحقد على والديه لتخليهم عنه واتهمهما بالتخلف الذي أدى يهما أن لا يعيا ذلك إلا بعد فوات الأوان.

ومن جهة أخرى نجد شقيقه الأصغر "خالد" الذي انضم إلى الفدائيين، فلقد اخبر سعيد(س) ابنه خلدون بان أخاه اسمه "خالد" وانه قد سماه خالد لأنه كان يتوقع أن يعثر على خلدون، ولكن سعيد(س) شعر بالندم عندما رفض التحاق خالد بصفوف الفدائيين.

تحمل هذه الرواية معاني كثيرة، فالشعب الفلسطيني عانى مرارة العذاب ومازال يعاني، إلا انه تحمل تلك المعاناة بالصبر والصمود والمواجهة في وجه العدو لنيل كرامة الوطن وحرية واسترجاع حقوقه وهويته.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، دار العودة بيروت، ص 77-78

ومن ضيع هذه القيم عاش في ذل وكان نصيبه دفع الثمن، والعيش تحت وطأة
الاستعمار. كما أن هذه الرواية تثبت طغيان الفكر الصهيوني، فغسان كنفاني يرسم لنا
الوعي الجديد الذي بدأ يتبلور بعد نكبة 1948، فهي محاكمة للذات من خلال إعادة النظر
في العودة إلى الوطن وتحريره، فحب الوطن راسخ في وعي وقلب الإنسان الفلسطيني.

4- مفهوم الحدث:

يعتبر الحدث عنصراً مهماً في البناء الروائي و هو يمثل العمود الفقري في ربط
عناصر الرواية، فالحدث هو "مجموعة من الأفعال والوقائع، مرتبة ترتيباً سببياً، تدور حول
موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها ، وهي تعمل عملاً له معنى كما
تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى، وهي المحور الأساس الذي ترتبط به باقي
عناصر القصة ارتباطاً وثيقاً¹ يعطيها فنيته.

ومن هنا يتبين لنا أن الحدث يلعب دوراً مهماً في الرواية أو القصة فهو يقوم بتصوير
الشخصية أثناء أدائها لدورها و به تنمو المواقف وتتحرك الشخصيات وهناك عدة طرق
لعرض الأحداث، فقد يلجأ الكاتب لأحدهم وذلك تبعاً لثقافته ورؤيته الفنية فقد يبدأ قصته من
أول أحداثها ثم يتطور بأحداثه وشخصيته تطوراً أمامياً متبعاً المنهج الزمني، الطريقة
التقليدية وقد تبدأ القصة من نهايتها فيصور الحادثة ثم يعود بنا إلى الخلف كي نكتشف
الأسباب والأشخاص وهو أسلوب (الفاش باك) وقد يتبع أسلوب اللاوعي/ التداعي، فيبدأ
من نقطة معينة ويتقدم ويتأخر حسب قانون التداعي...، الطريقة الحديثة، كل ذلك منزوك

1 صبحية عودة زعرب:جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجلاوي .الأردن،ص 135

لعبقرية الكاتب وتمكنه من أدوات الكتابة¹ " فمن خلال دراستنا لأحداث هذه الرواية نجد أن غسان كنفاني يعرض لأحداث التي حصلت قبل زمن السرد، أي عرضه لأحداث ماضية فهو يلاعب بالأزمنة وهي تقنية يستعملها الكاتب لعرض لأحداث بتقنية يستعملها الكاتب لعرض الأحداث بتقنية ذكية وبأسلوب متميز ، فالحدث عنده يأخذ أشكالاً متعددة، فنجده قد بدأ من الوسط ثم يعود إلى سرد أحداث ماضية منذ عشرين سنة.

إن القارئ لأعمال غسان كنفاني يدرك أن أعماله تتحدث عن القضية الفلسطينية والثورة وهو يسعى إلى تغيير الواقع ويدفع الجيل الناشئ إلى التحرر من القيود والسيطرة التي يعانها الشعب الفلسطيني و الالتفات إلى المستقبل.

تدور أحداث هذه الرواية في حيفا في فلسطين، فقد بدأت أحداث هذه الرواية من الوسط وذلك من خلال قيام غسان كنفاني بسرد أحداث حيث وصل سعيد "س" وزوجته إلى حيفا، ثم يعود إلى الوراء ليسرد لنا أحداثاً ماضية منذ عشرين سنة.

-أحداث الرواية:

الحدث لأول:

تبدأ الرواية بوصول سعيد "س" وزوجته صفية إلى مشارف حيفا واسترجاع الذكريات القديمة والأليمة بالنسبة إليهما، وكذلك تذكر أحداث الحرب التي حصلت في نيسان 1948، والأضرار النفسية التي خلفتها في نفسية سعيد "س" وزوجته صفية وفي الشعب الفلسطيني

1 صبحية عودة زعرب:غسان كنفاني , ص135

وبسبب هذه الحرب تخلو وتركوا ابنهم الصغير في سريره وهو ابن خمسة شهور فقط، واتجهوا نحو المنفى، وذاقوا ذل العوز والمعاناة في المخيمات.

الحدث الثاني:

انه متابعة الرحلة إلى حيفا والى الوطن القديم وبيته القديم الذي نفي منه بسبب الحرب، والى ابنه الصغير "خلدون" الذي تركه وهو صغير، وواصل رحلتهم في صمت حزين "وها هما الآن ينظران صامتين إلى الطرق التي يعرفانها جيدا، والملتصقة في ذاكرتهما كقطع من لحمها وعظامهما¹" فهذا الصمت يحمل الكثير من المعاناة والألم، فهو استرجاع للماضي وللذكريات القديمة .

الحدث الثالث:

قيام سعيد "س" وزوجته صفية بزيارة بيتهما القديم، الذي لطالما فكروا فيه، وبدأت زوجته تبكي ففي هذه الرواية استرجاع للماضي والحنين إليه "وفجأة اطل المنزل، المنزل ذاته، ذلك الذي عاش فيه، ثم عيشه في ذاكرته طويلا²" دخلوا إلى المنزل و بدأ يميزان الأشياء التي تركوها، فهناك أشياء تغيرت كباب المدخل، والأشياء الحميمة، التي تصورها دائما ملكية مقدسة كذلك غرفة الجلوس، فقد أحس سعيد "س" من جديد انه في بيته إلا أنه شعر بأن ذلك البيت لم يصبح كما كان بل تغير كل شيء فيه، كأنه ضيف في بيته، وبعد ذلك بدأ بالحديث مع المريية، وعن كيفية حصولها على البيت وعلى الطفل "خلدون".

1 غسان كنفاني:عائد إلى حيفا، ص28

2المصدر نفسه ، ص29

الحدث الرابع:

ويتمثل في عودة خلدون إلى البيت، ومعرفة أهله الحقيقيين، لكنه تتكر لأصله، واختار البقاء مع المريية، فهو بذلك لم ينكر المعروف الذي قدمته له، وأصبح يعاتب والديه على تركه صغيرا، ومن هنا بدأت المواجهة بين الأب ولابن " أنا لا اعرف أما غيرك، أما أبي فقد قتل في سيناء قبل 11 سنة، لا اعرف غيركما¹ اخذ خلدون أو "دوف" يطرح أسئلة على والديه وعن كيفية تركه صغيرا ووحيدا في البيت "كيف يستطيع الأب ولأم أن يتركا ابنهما وهو في شهره الخامس و يهربان²" فهو لم يتصور أن الأب ولأم يمكن لهما ترك طفلهما الذي من لحمهما، وتقوم عائلة أخرى بتربيته ورعايته كأنه ولدتهما الحقيقي³ ومن المؤكد أن الإنسان في نهاية الأمر قضية.

الحدث الخامس:

مغادرة سعيد "س" وزوجته صفية منزلهما القديم بعدما أدركوا أن الأشياء التي ضيعوها لا يمكن استرجاعها فقد تحطمت كل ألامهما في استرجاع البيت ولابن الصغير خلدون، ولطالما تمت صفية وزوجها لقاء خلدون واسترجاعه معها إلا أن القدر لم ينصفهما ولم يتحقق ما أرادوا، ومن هناك أحس سعيد "س" بالشوق والحنين إلى ابنه "خالد" وفي الطريق اخبر زوجته صفية " ارجوا أن يكون خالد قد ذهب ... أثناء غيابنا⁴" فهذه الأحداث هي

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا ، ص71

2 المصدر نفسه ص78

3 المصدر نفسه ، ص78

4 المصدر نفسه، ص91

أحداث عاشها الشعب الفلسطيني، عانوا الحرمان وسلب أبسط الحقوق التي يجب على الإنسان أن يملكها وهو حق الملكية والرعاية.

5- الشخصيات:

تحتل الشخصيات مكانة مهمة و معتبرة في العمل الأدبي، فهي تجسد فكرة الروائي، فبواسطتها تنمو الأحداث وتتطور «اكتست كلمة الشخصية في الرواية مفاهيم متعددة بتعدد وجهات نظر الأدباء و النقاد، لكن المعنى الشائع لها هو أنها مجمل السمات و الملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي ... وهي تشير إلى الصفات الخلقية و المعايير و المبادئ الأخلاقية، و لها في الأدب معان أخرى و على الأخص ما يتعلق بشخص تمثله قصة أو رواية....¹». على الكاتب الاهتمام بالشخصية بقدر اهتمامه بالفكرة و الحدث، وهذا لكي يكتمل عمله الأدبي ، الذي يقوم أساسا على وجود الشخصية، و لتوضيح فكرته يعتمد الأديب إلى تقديم الشخصيات بتوضيح أبعادها و جزئياتها.

الشخصية لغة:

وردت كلمة الشخصية في المعاجم العربية،منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور «(في مادة(ش خ ص):شخص،الشخص،جماعة شخص الإنسان أو غير ذلك ،و الجمع أشخاص و شخوص وشخاص الشخص سواد الإنسان و غيره تراه من بعيد ، و كل شيء رأيت جسمانه ، فقد رأيت شخصه و الشخص كل جسم له ارتفاع ' و ظهور، و المراد به

1 صبحية عودة زعرب:جماليات السرد في الخطاب الروائي،ص 17

إثبات الذات¹ «وما نفهمه من قراءة هذا التعريف، هو أن لفظة شخصية، أطلقت على المظهر الخارجي الجسماني (الفيزيقي) للإنسان، و هي انتقال من المعنى المادي إلى المعنوي، فيميل التعريف أكثر إلى المعنى السيكولوجي منه إلى الفيزيقي .

الشخصية اصطلاحاً:

من الممكن تقديم عمل روائي، دون تحديد لإطار الزماني أو المكاني الذي وقعت فيه الأحداث، لكنه من الصعب تقديم عمل روائي بدون شخصية، فهي الركن الأساس في الرواية وكذا العنصر الفاعل الذي يسهم في الحدث، يؤثر فيه و يتأثر به فلها إذن حضور جمالي في العمل الروائي .

فالشخصية عنصر محوري في كل سرد، بحيث لا يمكن تصور شبكة سردية بدونه، فيعرف الباحث المغربي (حميد لحداني) «الشخصية الفاعلة العاملة بمختلف أبعادها الاجتماعية و النفسية و الثقافية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال ما يخبر به الراوي، أو ما تخبر به الشخصيات ذاتها. أو ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات²» ومن خلال متابعتنا لحركة الشخصيات في رواية غسان كنفاني، نجد نوعين من الشخصيات الرئيسية التي تقوم بالدور والى جانبها نجد شخصيات ثانوية لا تقل أهمية عنها، فكل واحدة منها تخدم الأخرى فالشخصية الرئيسية «هي التي تقود الفعل و تدفعه إلى الأمام، و ليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائماً، و لكنها هي

1 ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر. بيروت لبنان، ط4. المجلد 8 ص36

2 حميد الحداني: بنية النص السردى من المنظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، د

الشخصية المحورية ، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية¹، وتكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية و تعديل لسلوكها، وإما تبع لها، تدور في فلكها و تتطرق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها و تكشف عن أبعادها². فالشخصية الثانوية تساعد الشخصية الأساسية في أداء مهمتها و إبراز الحدث ، كما أن الشخصيات عند غسان كنفاني تطمح دائماً إلى التغيير ، لأنها ثورية متمردة بطبيعتها.

ومن بين الشخصيات الرئيسية المذكورة في رواية «عائد إلى حيفا» الشخصية البطلة

التي يقوم عليها العمل الروائي:

- شخصية سعيد:

وهو المحور الأساسي لهذه الرواية، فهو أول شخص يظهر في أحداث الرواية «حين وصل سعيد إلى مشارف حيفا³» فكل الأحداث تدور حول سعيد و زوجته، و لقد صور لنا الكاتب كذلك الحالة النفسية التي يعيشها سعيد(س) «أحس أن شيئاً ما ربط لسانه، فالتزم الصمت، وشعر بالأسى يتسلقه من الداخل⁴» وصف الكاتب حالة سعيد(س) و شعوره بالأسى و المعاناة و تأنيب الضمير «لأول مرة منذ عشرين سنة، تذكر ما حدث بالتفاصيل وكأنه يعيشه مرة أخرى⁵.» فسعيد هنا تذكر كافة الأحداث التي عاشها فلقد عادت به ذاكرته عشرين سنة إلى الوراء.

1 صبغية عودة زعرب: غسان كنفاني، ص131

2، المرجع نفسه، ص132

3 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص5

4المصدر نفسه، ص5

5 المصدر نفسه، ص5

كما ذكر لنا الحالة النفسية، التي انتابته عندما تذكر ابنه الصغير الذي تركه وحيدا في البيت «وعندها فقط تذكر (خلدون) الصغير، ابنه الذي أتم في ذلك اليوم بالذات شهره الخامس، وانتابه فجأة قلق غامض¹».

كما نجد أن شخصيته شخصية واعية و مدركة لما يحدث و يظهر ذلك في قوله «لقد فتحو الحدود فور أن انهوا لاحتلال فجأة و فوراً.....إنهم يقولون لنا:تفضلوا أنظروا كيف أننا أحسن منكم و أكثر رقيا ،عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدما لنا ،معجبين بنا²».

- شخصية خلدون (دوف):

وهي شخصية أساسية في الرواية ،فهو الذي تركه والداه وهو صغير بسبب تأزم الأوضاع في مدينة حيفا، فقد قامت المرأة التي تسكن في الطابق الثالث بأخذه إلى الوكالة اليهودية ، وقامت هذه الأخيرة بإعطائه إلى (ايفرات كوشن) ،فخلدون شاب طويل القامة «الرجل الطويل القامة خطا إلى الأمام ، كان يلبس بزة عسكرية و يحمل قبعة بيديه³».

لقد رفض خلدون العودة إلى والديه الحقيقيين اللذين هما من أصل عربي «بعد أن عرفت أنكما عربيان كنت دائما أتساءل بيني وبين نفسي: كيف يستطيع لأب و الأم أن يتركا ابنهما و هو في شهره الخامس و يهربا؟ وكيف يستطيع من هو ليس أمه وليس أباه أن يحتضناه و يربياه عشرين سنة⁴». فمن هذه المقاطع نجد أن خلدون تنكر لأصله

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا،ص15

2 المصدر نفسه، ص9

3 شمس الدين موسى: كلمات على ضفاف الواقعية منشورات وزارة الثقافة و الإعلام-الجمهورية العراقية دار الحرية للطباعة- بغداد،1980.ص67

4 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا ،ص78،77

العربي، لكنه لم ينكر المعروف الذي قدمه «ميريام» و«ايفرات كوشن» حيث قام بتبنيه و
رعايته منذ أن كان في عمر خمسة شهور ، لكنه أصبح يلوم والديه على سبب تركهما له
وحيدا و بدأ يتساءل «انه يتساءل كيف يترك لأب و أم ابنيهما الرضيع في السرير و
يهريان¹».

فهاتان الشخصيتان هما الأساس في هذه الرواية، كما نجد كذلك الشخصيات
المساعدة التي شاركت في نمو الحدث القصصي، وهي شخصيات ثانوية ومنها:

- شخصية صفية:

وهي زوجة سعيد(س)، امرأة تحمل حرقه في قلبها بسبب تخليها عن ابنها الصغير
وحيدا، فلقد حملت نفسها مسؤولية تركها لولدها الرضيع، فكانت دائماً التفكير في ابنها
خلدون ويظهر ذلك في قوله «فوضع أصابعه تحت ذقنها ورفع رأسها فإذا عيناها تضخان
بدموع غزيرة فسألها بنحو: صفية بماذا تفكرين؟²» وكانت شخصية صفية تبدو أنها شخصية
مسالمة حيث استسلمت للحزن وكأنها هي التي ارتكبت تلك الفجيعة «ينتظرها أن تبتدئ كي
لا تشعر بأنها- كما كانت تشعر دائما هي التي ارتكبت تلك الفجيعة التي شجرت في
قلبيهما معا³» فهي تحمل فكرة واحدة منذ عشرين عاما أنها هي السبب في تخليها عن ابنها
خلدون ،وتركه وحيدا في المنزل و هو لا يزال رضيعا.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص 78

2 المصدر نفسه، ص24

3 المصدر نفسه، ص24

تورازونشتاين :

المرأة التي كانت تسكن مع ابنها الصغير بعد أن طلقها زوجها ، فهي جارة سعيد(س) تسكن في الطابق الثالث وهي التي أخذت خلدون إلى الوكالة اليهودية، وذلك بعد ما سمعت صوت بكائه وقامت بتحطيم الباب وأخذه إليها لكنها لم تستطع الاحتفاظ به ، لذلك حملته إلى الوكالة اليهودية في حيفا، «فحملته إلى مكتب الوكالة اليهودية في حيفا وهي تتصور أن شيئاً ما يمكن أن يقام به لحل تلك المشكلة¹».

- شخصية فارس اللبدة:

هي شخصية ثانوية في هذه الرواية، رجل من يافا، وهو جار سعيد(س) «جارنا في رام الله الذي سافر إلى الكويت²»، ولكنه عاد إلى بلده "يافا" التي كان يسكن فيها قبل عشرين عاماً ، ولكنه عندما أتحت له الفرصة للعودة إلى وطنه ذهب إلى بيته القديم ويظهر ذلك في: «جئت القي نظرة على بيتي، هذا المكان الذي تسكنه هو بيتي أنا، ووجودك فيه مهزلة محزنة ستنتهي ذات يوم بقوة السلاح³»، فقد كان فارس يبدو غاضباً حيث تكلم مع الشخص الذي يسكن بيته إلا أن الرجل ظل واقفاً على عتبة الباب وهو يضحك ، لكنه بعد معرفة فارس بأن الرجل لم يتغير فيه شيء ، وبدأت الدموع تنهمر على وجنتي فارس «وقد كان

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص 50

2 المصدر نفسه، ص 58

3 المصدر نفسه، ص 59

البيت هو نفسه، بأثاثه و ترتيبه، وألوان جدرانه وأشياءه التي يذكرها جيدا¹»، شخصية فارس شخصية متمسكة ، فقد تمسك بوطنه، حيث أتاحت له فرصة رؤية بيته من جديد، خاصة انه وجدته كما كان لم يتغير شيء فيه، بل بقي على صورته القديمة، فهو يحمل في قلبه الشوق و الحنين إلى كل شيء يخص "يافا".

- شخصية بدر اللبدة:

أخو فارس اللبدة ، وهو مجاهد، ويعتبر أول شخص حمل السلاح «كان أخوه بدر أول من حمل السلاح في منطقة العجمي في الأسبوع الأول من كانون الأول عام 1947²»، ولقد استشهد بدر من اجل تحرير وطنه، «وفي السادس من نيسان عام 1948 جيء ببدر إلى الدار محملاً على أكتاف رفاقه، كان مسدسه مازال في وسطه، أما بندقيته فقد تمزقت مع جسده بقذيفة تلقاها وهو على طريق تل الريش³».

- الرجل طويل القامة:

هو كذلك شخصية مشاركة في أحداث الرواية فهذا الرجل طويل القامة، لأسمر وهو أيضا من يافا، أصبح يسكن في بيت "بدر اللبدة" وهو من أصول عربية «فأنا عربي أيضا ويافاوي مثلك ، وأعرفك فأنت ابن اللبدة⁴»، فهو من سكان المنشية، هدم بيته في حرب 1948 حيث استشهد فارس اللبدة، كان مع المقاتلين لكنه اعتقل عند عودته إلى المدينة المهجورة اعتقلونا ، و أمضيت فترة طويلة في المعتقل، ثم حين أطلقوني رفضت أن أغادر

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص60

2 المصدر نفسه، ص61

3 المصدر نفسه، ص61

4 المصدر نفسه، ص60

"يافا"وقد عثرت على هذا البيت واستأجرته من الحكومة¹ ، بقي هذا الرجل في يافا مع عائلته ، وقد سمى أبناءه "سعد"و"بدر" فقد سمى ابنه الثاني على اسم الشهيد "بدر اللبدة"صاحب الصورة التي شاهدها في البيت الذي استأجره من الحكومة، تلك الصورة أعطت له الراحة و الأمان، فقد كان وحيدا في جزيرة صغيرة معزولة، لا يوجد فيها شخص عربي ، ولكن عندما شاهد تلك الصورة وجد فيها سلوى ويظهر ذلك في القول:«وجدت فيها رفيقا يخاطبني و يتحدث إلي و يذكرني بأمور اعتز بها و اعتبرها أروع ما في حياتنا²»، فتلك الصورة منحت له الحياة من جديد و أصبحت المؤنس الوحيد له،فهي تمثل له شيئا ثميناً لا يمكن الاستغناء عنها، وأصبحت جزءاً من حياته«يبدو لي أن يكون للإنسان مع رفيق له حمل السلاح ومات في سبيل الوطن شيئا ثميناً لا يمكن الاستغناء عنه، ربما كان نوعاً من الوفاء³» ،ومن هنا يتبين لنا أن الشهيد يبقى نكراً في أذهان الشعب إلى الأبد، لأنه مات من أجل تحرير وطنه.

ومن هنا يظهر لنا أن الأم في هذه الرواية ما هي إلا رمز للوطن، فصفية تمسكت بابنها خلدون، وعادت لتبحث عنه بعد مرور عشرين عاماً، كذلك أبناء الشعب الفلسطيني تمسكوا بأرضهم، وان فلسطين ارض عربية وتبقى عربية مهما كان.

1 غسان كنفاني:عائد إلى حيفا ، ص64

2 المصدر نفسه ، ص65

3 المصدر نفسه،ص65

- شخصية ميريام:

قدم الكاتب هذه الشخصية من حيث الشكل الداخلي، ومن الناحية النفسية و الاجتماعية، فهي امرأة عجوز سمينة بعض الشيء و قصيرة، وهي من أصول يهودية أنتت مع زوجها إلى "حيفا" على متن زورق بريطاني قادمين من بولونيا ، كما أنها تكره لألمان لأنهم اعتقلوا والدها وقتلوا أخاها، ويظهر ذلك في «كانت ميريام قد فقدت والدها في "اوشفيتز" قبل ذلك بثماني سنوات¹»، كما أنها رأت كيف أطلقوا الرصاص على أخيها «وقد استطاعت أن ترى ذلك عبر تلك الكوة الضيقة التي تتيحها المسافة الصغيرة المتروكة بين مجموعة السلام، ومن هناك شهدت كيف أطلق عليه الرصاص²»، فميريام لم ترغب المكوث في "حيفا" منذ البداية ، لكنها وافقت بعدما منحتهم الوكالة اليهودية بيتا و طفلا عمره خمسة شهور ، فشخصية ميريام تكره الظلم و لاحتقار ، لذلك رفضت العيش في "حيفا" ، وذلك بسبب الأثر الذي تركه لألمان في نفسياتها ، خاصة عندما رأت ذلك الطفل الفلسطيني الذي قتله شابان من الهاغاناة و رموه في شاحنة كأنه حطبة" شابان من الهاغاناه يحملان شيئا ويضعانه في شاحنة صغيرة... كان طفلا عربيا ميتا، قد رأيته مكسوا بالدم... ألم تر كيف القوه في الشاحنة كأنه حطبه³» ، ولقد كان سبب بقائها في حيفا هو الطفل الذي تبنته، اعتنت به كأنه ابنها الحقيقي، ولم تكن ترغب خلدون على البقاء معها، بل أعطت له حرية

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص48

2 المصدر نفسه، ص49

3 المصدر نفسه، ص48

الاختيار, "لندعه يختار، لقد أصبح شابا راشدا، وعلينا نحن الاثنين أن نعترف بأنه صاحب الحق في أن يختار"¹ ميريام امرأة خنونة محبة لفعل الخير.

- شخصية أفران كوشن:

هو من أصول يهودية جاء إلى حيفا مع زوجته "ميريام" فقد حالفه الحظ حيث منح له بيت وطفل صغير من قبل الوكالة اليهودية وذلك عندما تبين أنه لن ينجب أولادا، فقد اعتبر الأمر كله بمثابة هبة إلهية، ويتبين ذلك من خلال "لقد أعطى بيتا في حيفا نفسها، وأعطى مع البيت طفلا عمره خمسة شهور"²، فهو لم يكن يتصور ذلك خاصة أنه لم يكن يعرف الكثير عن فلسطين، وبالنسبة له كانت مجرد مسرح ملائم لأسطورة قديمة، كان يراها مرسومة في الكتب الدينية المسيحية الخاصة بالأطفال في أوروبا.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا ص 48

2 المصدر نفسه، ص 49

1- مفهوم السرد:

السرد هو العملية التي يقوم بها السارد أو الحاكي (الراوي)، فينتج عنها ذلك العمل القصصي أو الروائي، وغالبا ما يأتي السرد كمفهوم وظيفي زمني عن مفهوم العرض حيناً، ومفهوم التمثيل حيناً آخر، ففي السرد عرض للوظائف كما أن العرض أو التحليل فيه سرد لصفات أو تفاصيل معينة.

السرد لغة:

هو تقديم شيء إلى شيء تأتي بهما متسقا ببعضهما في أثر بعض، وهو العملية التي يقوم بها السارد أو الحاكي من أجل تصوير أحداث الرواية وينتج عنها النص القصصي ويقوم الحكي على دعامين أساسيين هما:

- أن يحتوي على قصة تضم أحداثاً معينة.
- أن يعين تلك الطريقة التي تحكي بها تلك الرواية أو القصة¹ والكلمة مأخوذة من فن خياطة السفن وهي إغريقية، و قد وردت في القرآن الكريم "وقدر في السرد" في صنع الدروع.

اصطلاحاً:

هو قص خبر أو نبأ أو حدث أو أحداث سواء كان ذلك واقعياً أو خيالياً، كما يعد أسلوباً متميزاً بعرض الأحداث، أو هو طريقة ينقل الراوي أو القاص من خلالها الأحداث إلى الملتقى² وباعتبار الحكي قصة محكية فهو يفترض وجود حكي وشخص يحكى له، أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى الراوي (Narrateur) وطرف ثان مروي (Narrataire)

1 حميد الحمداني: بنية النص السردى ، ص113

2 ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثاني دار صادر ، ، طبعة لأولى بيروت 2000، ص160

فالسرد يرتبط بالخيال واللغة التي تعكس صياغة هذا العالم الخيالي لا نستطيع أن نحدد ذلك إلا بمعرفة طرق تعرف السرد التي يمارسها الراوي في روايته والقاص في قصته.

ومن الباحثين الذين حددوا مصطلح السرد "سعيد يقطين" "كتجل خطابي سواء كان هذا الخطاب يوظف اللغة أو غيرها، ويتشكل هذا التجلي الخطابي من توالي أحداث مترابطة تحكمها علاقات متداخلة بين مختلف مكوناتها وعناصرها، وبما أن الحكي بهذا التحديد متعددة الوسائط التي عبرها، يتجلى كخطاب أمام متلقيه"¹ يتضح لنا من خلال ما سبق أن السرد عملية لا تقوم فقط على اللغة بل يمكن أن تقوم على الحركة والصور، وعليه فإن عملية السرد تتحدد وفق تقنيات مختلفة بمختلف مجالات التواصل "لقد حاول غسان كنفاني تطوير أدواته الفنية والاستفادة من تقنية الرواية الغربية، فكانت حصيلة هذه الإفادة مجموعة من ألوان التكنولوجيا الفني، تتجلى أهمها في بنية السرد الأحادي والسرد المتعدد، وتكنيكات تيار الوعي على اعتبار أن الوقائع المختلفة التي تعالجها الروايات، يجب أن تتوافق جميعها بأشكال مختلفة من السرد الروائي"² لقد شغل السرد اهتمام الباحثين والنقاد.

1 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير) ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت 1997، ص46

2 صبحية عودة زعر: غسان كنفاني، ص142

2- وظائف السرد:

الوظيفة السردية:

تعتبر أول وظيفة يقوم بها السارد "أول أسباب تواجد الراوي سرده للحكاية"¹ وهذا

يعني أن السارد أو الراوي هو الذي ينقل لنا الأحداث.

الوظيفة التنسيقية: (Régie)

فالسارد يأخذ كذلك على عاتقه التنظيم الداخلي للخطاب القصصي (تذكير للأحداث

أو سبق لها ربط لها أو تأليف بينها... وقد ينص على هذه الوظيفة حتى يبرمج السارد عمله

مسبقاً)².

الوظيفة الإلغائية: (Communication)

وتتجلى "في إبلاغ الرسالة للقارئ سواء كانت تلك الرسالة الحكاية نفسها أو مغزى

أخلاقيا أو إنسانيا"³ فهذه الوظيفة هادفة أخلاقيا للإنسان.

الوظيفة لانتباهية: (Phatique)

نجدها في بعض الخطابات، والندوات دون سواها، "وهي وظيفة يقوم بها السارد

و تتمثل في اختيار وجود لاتصال بينه وبين المرسل إليه وتبرز في المقاطع التي يتواجد

فيها القارئ على نطاق النص حين يخاطبه السارد "⁴.

1 سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر و بد ط ص 108

2 المرجع نفسه، ص 108

3 المرجع نفسه ، ص 108

4 المرجع نفسه ، ص 108

الوظيفة لاستشهادية: (testimonial)

في هذه الوظيفة يثبت السارد في خطابه المصدر الذي استمد منه معلوماته أو درجة دقة ذكرياته.

الوظيفة لإيديولوجية أو التعليقية: (Idéologique ou Commentative)

ونقصد هنا النشاط التغييري للراوي، ، "وهذا الخطاب التفسيري أو التأويلي يبلغ ذروته في الروايات المعتمدة على التحليل النفسي"¹ وتتمثل هذه الوظيفة في التعليق على الأحداث التي يقدمها الراوي، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالحوار، فنتحول إلى الوعظ المباشر لشخصياته.

الوظيفة لإفهامية أو التأثيرية: (Conative ou impressive)

وتتمثل " في إدماج القارئ في عالم الحكاية ومحاولة إقناعه أو تحسيسه، وتبرز هذه الوظيفة خاصة في الأدب الملتزم أو الروايات العاطفية"².

الوظيفة لانطباعية أو التعبيرية: (Expressive)

وتتمثل هذه الوظيفة في "تبوء السارد مكانة مركزية في النص وتعبيره عن أفكاره ومشاعره الخاصة، وتتجلى هذه الوظيفة مثلاً في أدب السيرة الذاتية أو الشعر العربي"³ ففي هذه الوظيفة يستخدم السارد ذاته للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره الخاصة به.

1 سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية ، ص109

2 المرجع نفسه، ص110

3 المرجع نفسه، ص110

3-أنواع السرد:

يعتبر السرد عنصرا فعلا في الرواية، فبواسطته يقوم الكاتب بنقل الاحداث والوقائع للقارئ، وهنا يمكن أن نستأنس برأي الذي يرى جيرار جينت بأنه في بعض الأحيان يجب وجود بعض التحديدات الزمنية، لان هذه الرواية تجسد لنا زمن الماضي، فصيغة الماضي قادرة على إثبات المسافة الفاصلة بين زمن السرد وزمن الحكاية الذي ميزه جيرار جينيت من جهة نظر الموقع الزمني، وفي هذا الصدد نميز في المستوى النظري أربعة أنماط من السرد القصصي.

السرد التابع:

أو ما يسمى أيضا بالسرد اللاحق" الذي يقوم فيه الراوي بذكر أحداث حصلت قبل زمن السرد، بان يروي أحداثا ماضية بعد وقوعها وهذا هو النمط التقليدي للسرد بصيغة الماضي، النوع الأكثر انتشارا¹ فقد سمي باللاحق لأنه يقع في لحظة غير محددة، وهذا ما جعل القارئ ليس له دراية بهوية السارد وبالزمن الذي يسرد فيه القصة أو الحكاية فلأفعال الواردة في هذه الرواية تنتمي إلى الماضي ويوصف هذا النوع بالثبات لأن تلك الأحداث حصلت في الماضي لا يمكن أن تتغير، ونجد هذا النوع سائدا في الرواية ومنه" صباح الأربعاء 21 نيسان 1948 كانت حيفا مدينة لا تتوقع شيئا، رغم أنها كانت محكومة بتوتر

1.سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة ص108

غامض¹ فهذه الأحداث تمهد لأحداث أو لحدث قادم أو لاحق، و يعتمد الراوي لاستخدام هذا النوع من السرد لكي يؤثر في القارئ.

وكما نلاحظ ما أسماه "جيرار جينيت" بالسرد اللاحق، ويتمثل ذلك في قوله "هو الموقع الكلاسيكي للحكاية بصيغة الماضي، ولعله الأكثر تواترا بما لا يقاس"² فهذا النوع أكثر استخداما ما بين الأنماط في الروايات الكلاسيكية حيث يقوم السارد أو الراوي بسرد أحداث وقعت قبل زمن السرد.

السرد الآني:

ويتمثل هذا النوع في انه "سرد في صيغة الحاضر المعاصر لزمن الحكاية وتدور أحداثه في تلك اللحظة بسرد لأحداث التي وقعت، فأحداث الحكاية وعملية السرد تدور في آن واحد"³ وهذا النوع أكثر بساطة نظريا، وقد سماه جيرار جينيت بالسرد المتواقت "وهو الحكاية بصيغة الحاضر المزامن للعمل"⁴ يعني أن حركة السرد في الرواية تتزامن زمن السرد، فيجعل من السرد والحكاية ينموان معا، وهذا النوع يتميز بالحركة لان السارد يقوم بسرد لأحداث التي وقعت في زمن الحاضر، فالسرد الآني هو أكثر الأنواع بساطة، ويظهر هذا النوع في الرواية في قوله كان يعرفها حجرا حجرا ومفرقا وراء مفرق، فلطالما شق تلك الطرق بسيارته لفورد الخضراء موديل 1946، انه يعرفها جيدا، ولآن يشعر بأنه لم يتغيب

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص12

2 جيرار جينيت: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة معتصم وعبد الجليل، الأزدي وعمر الحلي، منشورات الاخلاف المملكة المغربية، ط1، 1996، ص264

3 سمير المزرقى: مدخل إلى نظرية القصة، ص102

4 جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ص231

عنها عشرين سنة، وهو يقود سيارته كما كان يفعل، كما لو انه لم يكن غائبا طوال تلك السنوات المريرة¹ هنا الراوي يحكي فيسرد في الوقت نفسه، فتظهر أحداث الرواية في الحاضر وتجعل تلك الصور حية.

كما يظهر كذلك في عبارة "قمضى عبر شوارع فرعية محالاً اجتياز الطريق إلى الحليصة حيث يقع منزله، إلا أن القتال كان قد اتسع، وصار يرى الرجال المسلحين يندفعون من الشوارع الفرعية إلى الرئيسية وبالعكس²" فالسرد هنا يعطي للقارئ صورة واضحة حول المكان وتجعله ينسجم مع أحداث الرواية، كأنه يرى الصورة أمام أعينه، فقد استعمل الكاتب هذا النوع من السرد بكثرة في روايته، ليعطي صورة واضحة للقارئ

السرد المتقدم:

ويدعى أيضا بالسرد السابق وهو أقل استعمالاً يظهر بأنه "سرد استطلاعي يتواجد غالبا بصفة المستقبل، وهو نادر في تاريخ الأدب، وهو متميز بالتنبؤ والخيال ومحاولة لاستثمار أفق الانتظار عند القارئ بغية تشويقه ودفعه إلى المشاركة والكشف التدريجي عن الحوادث³" وهذا يعني أن الراوي يسرد أحداثا مختلفة لم تحدث بعد، بل ينتبأ بوقوع هذه الأحداث في المستقبل.

فالرواية كأنها تنتقل القارئ من عالم إلى عالم آخر، وهذا نادر في الرواية لان غسان كنفاني عمد إلى إظهار الصورة مباشرة، لأن أحداث الرواية واقعية، وله طموحات عديدة مثل

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص10

2 المصدر نفسه، ص13

3 سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص103

استرجاع بيته وابنه الصغير "خلدون" الذي تركه وحيدا منذ عشرين سنة، وكانت رغبته عودة الاستقرار والأمان للوطن واسترجاع كل ما أخذه منه.

السرد المدرج:

وهذا النوع من السرد من أصعب الأنماط لأنه يقع بين فترات الحكاية" فهو سرد متداخل أكثر تعقيدا، إذ ينبثق من أطراف عديدة، وهو مزيج من السرد اللاحق والمتزامن، لان السارد لا يكتفي فيه بسرد الحوادث التي تمت في الزمن الماضي القريب والبعيد، بل يسرد ما يتم حدوثه في الحاضر أيضا¹ فالراوي او السارد يقوم بمزج بين الماضي والحاضر. "أما الزمن المستعمل في سرد هذه الرواية فهو الزمن الماضي أما الحاضر غالبا ما يكون، وكثيرا ما يحمل الروائيين إلى قلة استعمال زمن المستقبل، والهدف في ذلك ليجعلوا البنية الزمنية لرواياتهم أكثر تعقيدا وصعوبة² ويظهر التعقيد حينما يجعلون الزمن في تداخل كمزج الماضي بالحاضر وبالمستقبل وهذا ما عرف بتداخل الأزمنة في العمل السردى.

ونجد كذلك جيرار جينيت قد سماه السرد المقحم، وقد عرفه بأنه "الحاصل بين لحظات العمل³" وهذا يعني بان السارد يقوم بدور مهم، حيث يقوم بسرد الحدث في زمن وقوعه، ويظهر هذا النوع في القول "منذ صغري وأنا يهودي اذهب إلى الكنيس والى المدرسة اليهودية وأكل الكوشير وادرس العبرية، وحين قلا لي بعد ذلك، أن والدي الأصليين هما

1 1 سمير المرزوقي وجميل شاعر،مدخل إلى نظرية القصة، ص103

2 المرجع نفسه، ص104

3 جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ص231

عربيان، لم يتغير أي شيء، لا لم يتغير ذلك شيء مؤكد...¹ وهنا تظهر لنا حياة "خلدون دوف" وكيف عاش طفولته ورغم معرفته بالحقيقة لم يتغير أي شيء فيه.

ونجد مثل هذا النوع من السرد أي السرد المدرج في "الرواية القائمة على تبادل رسائل بين شخصيات مختلفة حيث تكون الرسالة في نفس الوقت وسيطا للسرد وعنصرا في العقدة"² ويعني ذلك أن للرسالة قيمة انجازيه هامة وفعالة، وذلك باعتبارها وسيلة تأثير في المرسل إليه، ونموذج ذلك في "أنت في الجيش؟ من تحارب؟ لماذا؟ وانتفض الشاب واقفا فجأة: ليس من حقلك أن تسأل هذه الأسئلة. أنت على الجانب الآخر"³، نجد "دوف" لم يعط الحق لوالده بان يتدخل في حياته ولم يحترمه "أتعرفين شيئا يا سيدتي؟ يبدو لي أن كل فلسطيني سيدفع ثمنا، اعرف الكثيرين دفعوا أبناءهم، واعرف الآن إنني أنا الآخر دفعت ابنا بصورة غريبة، ولكنني دفعته ثمنا.... ذلك كان حصتي الأولى، وهذا شيء سيصعب شرحه"⁴ فالوسيط هنا هو ابنه "دوف" الذي ضحى به، وأخذته عائلة يهودية وقامت برعايته، وتربى على عقيدتهما وعاداتهما وتكرر لأصله ولنداء الأم.

4-الحوار:

يعتبر الحوار من مستويات الخطاب الروائي التي تولدت جراء الحديث عن أسلوبية الرواية، والتي خلقت حلقة نقاش بين الباحثين، ومن الناحية اللغوية لا نجد تعريفات كثيرة عن الحوار كونه حديث النشأة اشتق من كلمة حوار، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص76

2 سمير المرزوقي وجميل شاعر، مدخل إلى نظرية القصة، ص104

3 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص73

4 المصدر نفسه، ص90

في معجمه انه: "أحار: عليه جوابه رده، واحرت له جوابه وما أحار بكلمة ولاسم من المحاوره: الحوير، نقول سمعت حويرها وحوارهما والمحاوره: المجاوية والتحاور: التجاوب ونقول: كلمته فما أحار إلا جوابا وما رجع إلى حويرا، وهم يتحاورون: أي يتراجعون الكلام"¹ وما يقابل كلمة حوارية في اللغة الفرنسية هو (Dialogisme) فهي بدورها اشتقت من كلمة (Dialogue) "فإذا كانت كلمة حوار قد تخصصت في اللغة الفرنسية بمعنى محادثة بين شخصيتين فان المقطع الأول (Dia) يعني الفصل او عبر² فالحوار صياغة فنية ذو طبيعة أدبية، مثله مثل السرد يتجه إلى منطلق آخر داخل النص.

فبالحوار نتعرف على صفات تلك الشخصيات ونتمق أكثر في معرفتها فهو من الآليات الرئيسية الوظيفية الثقافية والفكرية في المجتمع البشري، فبدونه تتوقف جميع الأنشطة الاجتماعية جماعية كانت أم فردية.

أنواع الحوار في الرواية:

الحوار الداخلي: (المونولوج)

وفيه تتحدث الشخصية لنفسها "وهو حوار لهدف واحد او حوار بين النفس وذاتها تتداخل فيه كل التناقضات وتتعدم فيها اللحظة الآلية ويبهت المكان، وتغيب كل الأشياء إلى حين"³ فغسان كنفاني يريد توجيه الشعب الفلسطيني إلى تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس للخروج من الصمت والمعاناة، واسترجاع حقهم المسلوب منهم.

1 ابن منظور: لسان العرب، المجلد 04، دار صادر، بيروت، ص218

2 المصدر نفسه، ص29

3 صبحية عودة زعر: غسان كنفاني، ص176

يظهر هذا النوع في الرواية: "أحيانا يقول لنفسه: بلى، عرفت ذلك قبل أن يحدث، وأحيانا أخرى يقول لنفسه: لا ، أنا أتصور ذلك بعد أن حدث. لم يكن من الممكن أن أتوقع شيئاً مروعا من ذلك النوع"¹ فهنا يروي لنا أحداثا ووقائع خاصة، ويكشف عما بداخله كما يصور لنا الحالة النفسية التي يعيشها، ويعري الذات الإنسانية.

فالحوار يطالعنا على أمور كثيرة تخص الشخصيات، كما أن الحوار الذاتي يرجع بالذكريات إلى الوراء "استغرب كيف انه لم يفكر أبدا بما يمكن أن يعنيه ذلك العذاب، وبمدى ما هو غارق في تجاعيد وجهها وعينيها وعقلها"² هنا يلوم نفسه، وما حصل لزوجته صفية، فهو يتحمل مسؤولية فقدان او ترك ابنهم الصغير خلدون وبهذا الفعل أصبحت زوجته بهذا الشكل.

الحوار الخارجي: (الديالوج)

هو "الذي يكشف بعمق اكبر عن مستوى الشخصية وعن طبيعتها معا، ويلائم بناء الرواية الأكثر معاصرة...."³ ويظهر ذلك في قول "هل تعرفين من نحن؟" وهزت رأسها بالإيجاب عدة مرات لتزويد الأمر تأكيدا، وفكرت قليلا كي تنتقي كلماتها، ثم قالت ببطء "أنتما أصحاب هذا البيت، وأنا اعرف ذلك"⁴ فهذا الحوار يعلن عن اختلاف وجهات النظر بين سعيد (س) وتلك العجوز ميريام التي أخذت بيته وابنه الصغير خلدون.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص16

2 المصدر نفسه، ص11

3 صبحية عودة زعر: غسان كنفاني، ص178

4 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص35

ومن الأمثلة الأخرى الواردة في الرواية ، الحوار الذي دار بين سعيد (س) وابنه خلدون: "أنت في الجيش؟ من تحارب؟ لماذا؟" وانتفض الشاب واقفا فجأة: "ليس من حقك أن تسأل هذه الأسئلة، أنت على الجانب الآخر" ، "أنا؟ أنا على الجانب الآخر؟"¹ نجد هنا أن الأب ولابن كل واحد منهما يقف في الصف المعادي ، فلا ابن يحمل الضغينة لابنه، فهو يحمله مسؤولية تركه و انتسابه إلى عائلة جديدة مختلفة في العادات والعقائد، ومقطع آخر:

- "إن الإنسان هو قضية؟"

- "بالضبط"

- "إذن لماذا جئت تبحث عني؟"

- "لست أدري، ربما لأنني لم أكن اعرف ذلك، أوكي أتأكد منه أكثر"

- "لست ادري، على أي حال لماذا لا تكمل؟"² فهذا الحوار الحاد الذي دار بينهم بمثابة

درس لكن من سمح بحقه وتخلّى عن الهوية.

إن هدف غسان كنفاني من استخدام الحوار في هذه الرواية التعبير عن مجموعة من

قناعاته الفكرية والسياسية التي شغلت باله، لذلك أراد أن يشغل ذهن القارئ والإنسان، ليعرف

أن ما اخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة والإصرار، ومن تخلّى عن هويته فعليه أن يتحمل

الذل، ويعيش تحت وطأة الاستعمار، كما أن شخصية خلدون ترمز للوطن المسلوب،

والعلاقة الأبوية او الاجتماعية، كما تصور لنا السياسة التي اتبعتها العدو ليسيطر ويحتل

الأرض الفلسطينية.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص 73 - 74

2 المصدر نفسه، ، ص 77

5-دراسة اللغة:

استطاع كنفاني ببراعته اللغوية أن يسجل في عمله الروائي تعابير لغوية شديدة الثراء، تشد المتلقي إلى قراءة روايته، هذه الأساليب التي كسرت جمود النص وخلصته عن الرتابة، فلغة غسان كنفاني لغة مفعمة بالحركة والتركيز وملائمة لموضوع الرواية، كما يصور لنا حقائق الواقع عن طريق ذكر الأحداث كما نلمس كذلك شاعرية لغة الرواية أي القراءة السينمائية المتمثلة في: " واخذ يخطو ناظرا حواليا، مكتشفا الأمور شيئا فشيئا، أو دفعة، كمن يصحو من إغماء طويل، وحيث صارا في غرفة الجلوس، استطاع أن يرى أن مقعدين من أصل خمسة مقاعد هما من الطقم الـ الذي كان له، أما المقاعد الثلاثة الأخرى فقد كانت جديدة، وبدت هناك فوضى وغير متسقة مع الأثاث، وفي الوسط كانت الطاولة المرصعة بالصدف هي نفسها، وان كان لونها قد صار باهتا، وفوقها استبدلت المزهرية الزجاجية بأخرى مصنوعة من الخشب، وفيها تكومت أعواد من ريش الطاووس، كان يعرف أنها سبعة أعواد"¹ استطاع الكاتب أن يسيطر على اللغة بأساليب فنية جعلها تؤثر على القارئ، حيث ولدت خيوط متشابكة بين الإعجاب والحيرة والتعاطف.

ومن هذه الأساليب على سبيل التمثيل التعجب في قوله " انظر من الذي يتحدث! أنها تقول "مثل أبيه!" وكأن لخدون أبا غيرك"² وهي صيغة تكشف عن تنكر خلدون لأصله،

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص 33

2 المصدر نفسه، ص15

وان كانت لخدون مبرراته، ومن هذه الأساليب أسلوب النداء في قوله: "أنت ياسيديتي....."¹
النفسية التي تشفع له هذا الموقف.

كما استخدم أسلوب الاستفهام بكثرة في هذه الرواية، كونه أسلوباً يخدم الحدث الذي
عالجه في الرواية، فراح يسأل في أمور كثيرة، كانت تشغل باله ومنها قضية الإنسان.

- الوطن "الإنسان هو القضية؟"²
- "من قال ذلك؟"
- "قال ماذا؟"
- "من الذي قال أن الإنسان هو قضية؟"
- لا اعرف ، لا اذكر... لماذا تسال؟" فهذه التساؤلات كانت تدور في ذهن خالد حيث
اعتبر أن الإنسان قضية.

ونجده أيضا يتساءل كيف يبدأ "حسناً، من أين نبدأ؟"³ هذا الموقف الذي يعبر عن
الحيرة والمأزق في اتخاذ الموقف للخروج من الورطة.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص54

2 المصدر نفسه، ص80

3 المصدر نفسه، ص77

6- مفهوم الزمن و تجلياته في الرواية:

يمثل الزمن عنصرا أساسا من العناصر التي يقوم عليها فن الرواية، وهي بدونها تفقد

فنيته.

الزمن لغة:

ورد تعريف الزمن من الناحية اللغوية في معظم المعاجم اللغوية ومن بينها ما جاء

في لسان العرب لابن منظور "الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثير والجمع أزمان

و أزمنا و أزمان الشيء، طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان أقام به زمانا، والزمان يقع على

الفصل من فصول السنة وعلى ولاية الرجل وأشبهه¹"

الزمن النفسي:

يمثل المحور والعمود الفقري للرواية، فهو الذي يشد أجزاء الأحداث ونسجها " زمنا

ذاتيا خاصا لا يخضع لمعايير خارجية او مقاييس موضوعية منسوج من خيوط الحياة

النفسية عن طريق المونولوج الداخلي، وتداخل الأزمنة والصور البلاغية لزمان تفاعل الذات

مع الزمن² فالزمن الداخلي موجود في طبيعة اللغة المعبرة في الخطاب الروائي، ففي هذه

الرواية "عائد إلى حيفا" نجد الزمن يلعب دورا مهما، زمن موزع بين الماضي والحاضر حيث

يقوم البطل باسترجاع واستنكار الماضي، والعودة بأرشيده إلى الحاضر لذلك يسمى هذا

الزمن "استرجاعا" فهو عملية سردية تعمل على إيراد حدث سابق للقطعة التي بلغها السرد³.

3 ابن منظور، لسان العرب، المجلد 7، ط4، ص60

2 صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، ص78

3 سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص226

أما حميد الحمداني فيرى أن الإمكانيات التي يتيحها لاعب الروائي بالزمن لا حدود لها فيقول "أن الراوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة ولكنه يقطع بعد ذلك السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة¹ وزمن القصة مزدوج، فهناك زمن الحكاية وزمن الخطاب أو السرد القصصي بحيث يرتب الراوي الأحداث في النص القصصي كدال على هذا الزمن، فنجد في هذه الرواية قد لجأ إلى استرجاع الأحداث الماضية، والسارد يقوم بتنظيم نصه بالاعتماد على تصور جمالي وفني جعله يتصرف في تنظيم هذه الأحداث.

ففي رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني نجد أن لاسترجاع شكل حيزا مهما في حياة البطل، كما وردت مقاطع استحضارية كثيرة من خلال شخصية "سعيد" وزوجته "صفية" والمربية "ميريام" ومنها تلك الوقائع التي تعود أحداثها إلى عشرين سنة للوراء، وبالذات إلى يوم 21 نيسان 1948، علما أن الحاضر في الرواية هو يوم الثلاثين من حزيران 1967، وذلك يوم عودة سعيد إلى حيفا على يد اليهود ومنع الناس من دخول بيوتهم وغادروا "حيفا" منفين إلى بلدان أخرى فسعيد يسترجع تلك الأحداث "لأول مرة منذ عشرين سنة تذكر ما حدث بالتفاصيل، وكأنه يعيشه مرة أخرى"² عودة سعيد إلى الماضي "صباح الأربعاء، في الواحد والعشرين من نيسان، عام 1948"³ وهو تاريخ الهجوم على حيفا من قبل العدو الصهيوني"، كانت حيفا مدينة لا تتوقع شيئا، رغم أنها كانت محكومة بتوتر غامض، وفجأة

1 حميد الحمداني: بنية النص السردى، ص74

2 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص12

3 المصدر نفسه، ص12

جاء القصف من الشرق، من لال الكرمل العالية... وانقلبت شوارع حيفا إلى فوضى واكتسح الرعب المدينة التي أغلقت حوانيتها ونوافذ بيوتها¹ ان هذا الاستنكار للماضي يصوره الكاتب من خلال حجم المعاناة و المأساة التي تعرض إليها الشعب الفلسطيني خاصة "حيفا" كما استعمل الاستحضار ليوضح الجوانب الغامضة من حياة "سعيد"

لقد مزج الكاتب بين الأزمنة فبطل الرواية سعيد يعود إلى حيفا للبحث عن ابنه الذي تركه منذ عشرين عاما، ولكن الابن يفاجئه بقوله : "كان عليكم ألا تخرجوا من حيفا ... كان عليكم بأي ثمن ألا تتركوا طفلا رضيعا ... لقد مضت عشرون سنة، ماذا فعلت خلالها لكي تسترد ابنك؟ عاجزون... لا تقل لي إنكم أمضيتم عشرين سنة تبكون، الدموع لا تسترد المفقودين ولا الضائعين..."² اتهام دوف والديه بالجبن، والحقد الشديد عليهما ظنا منه أنهما أهملاه و هو طفل صغير.

كما نجد أيضا موقف سعيد من الماضي، فبدأ يسأل لأول مرة في الحاضر وكذا في معنى الوطن ومعنى فلسطين والإنسان بقوله "لقد أخطأنا حين اعتبرنا أن الوطن هو الماضي فقط وهم إنما ينظرون للمستقبل. لذلك هم يصححون أخطاءنا ان دوف هو عارنا' ولكن خالد هو شرفنا الباقي"³ ومن هذا الموقف نجد أن سعيد يلوم هذا الجيل، الذي لم يتمسك بقضيته ولم يتحمل المسؤولية، ومن خلال هذا الموقف أدرك سعيد أن الإنسان قضية. وفلسطين ليست استعادة لذكريات بل صناعة للمستقبل.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا ، ص12

2المصدر نفسه ، ص84

3 المصدر نفسه ، ص89

7- مفهوم المكان و تجلياته في الرواية:

يعتبر المكان في الرواية فضاء يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئاً يحتل الواقع، وذلك يوهم القارئ بواقعيتها، فهو يقوم بالدور الذي يقوم به الديكور وخشبة المسرح، وأي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن مكان معين، لذلك يعد عنصراً أساسياً في العمل الروائي أو القصصي وبه يفهم القارئ تقنيات الشخصيات وأنماط سلوكها وكيفية تفكيرها، وللمكان عدة تعريفات من الناحية اللغوية منها ما جاء في لسان العرب لابن منظور "المكان بمعنى الموضح، والجمع أمكنة وأماكن، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان، لأن العرب تقول، كن مكانك وقم مكانك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه¹ حيث يعتبر المكان مسقط الرأس ومحل العائلة والإنس.

اصطلاحاً:

يعد مصطلح المكان من المكونات الأساسية للسرد وعنصراً مهماً في الرواية والعمل الفني فهو يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، كما يعد المكان الأرضية المناسبة والخصية للشخصيات والأحداث فهو " عنصر حي فاعل في هذه الأحداث وفي هذه الشخصيات انه حدث وجزء من الشخصية² إذ لا يمكن الاستغناء عن المكان في العمل الروائي، فبمجرد أن يسرد الراوي الأحداث يخلق مكاناً خيالياً، كما أن للمكان علاقة مع الإنسان، فلا يستقيم السرد إلا بتوفير عنصر المكان.

1 ابن منظور: لسان العرب، المجلد 04، ص 113

2 حميد الحمداني: بنية النص السردي، ص 53

فعنصر المكان هو المكون الأساسي والعنصر البنائي الجوهري في العملية السردية
لكون المكان ذروة العمل الروائي، فلا يتحقق النص إلا بوجود هذا الحيز الذي تتصل فيه
الشخصيات سواء كان العمل واقعياً أم من الخيال وخذا قانون فيزيائي.
فقد اشتملت رواية غسان كنفاني عائد إلى حيفا على فضاءات مكانية متنوعة
وشخصيات متعددة. وتحوي أيضاً المشاعر التي يحملها الإنسان الفلسطيني في قلبه اتجاه
وطنه.

للمكان تأثير على الشخصيات حيث يمكن مساعدة الشخصيات على استرجاع
الماضي المسلوب، ويظهر ذلك في قول الراوي "وكانت أشجار السرو اللآث التي تتحني
قليلاً فوق الشارع قد مدت أغصاناً جديدة ورغب أن يتوقف لحظة كي يقرأ على جذوعها
أسماء محفورة منذ زمن، ويكاد يتذكرها واحدة واحدة...¹" فرؤيته لتلك الأماكن استرجعت له
الذكريات القديمة، كما أن المكان ساعد سعيد (س) وزوجته صفية على الفرار من العدو،
فلولا تلك الشوارع الفرعية المتواجدة في حيفا، لما نجا من الحصار الصهيوني في قوله
"قمضى عبر شوارع فرعية محالاً اجتياز الطريق إلى الحليصة حيث يقع منزله"² فلهذه
الأماكن دور وأهمية في نجات سعيد و صفية من العدو.

- مدينة حيفا:

هي الفضاء الأساسي لأحداث، لأنها تشكل ملتقى الشخصيات وتطور الأحداث،
فالسارد أعطى لها أهمية كبيرة حيث وصف مدينة حيفا وصفاً دقيقاً، ففي بداية الرواية

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص29

2المصدر نفسه ، ص89

يصف لنا المدينة ومدى اشتياق سعيد (س) لرؤيتها، فهي محل استرجاع الذكريات المسلوقة
"حيث وصل سعيد "س" إلى مشارف حيفا قادما إليها بسيارته عن طريق القدس، أحس أن
شيئا ما ربط لسانه... وشعر بالأسى يتسلقه من الداخل ... كلا لم تعد إليه الذاكرة شيئا
فشيئا بل انهالت في داخل رأسه كما يتساقط جدار من الحجارة، ويتراكم بعضه فوق بعض¹
فمدينة حيفا تمثل مكان استرجاع الذكريات القديمة لسعيد، وهذه الذكريات جاءت دفعة واحدة
ونجد كذلك صفة متلهفة لرؤية أرضها، وبدأت في مشاهدة المناظر الخلابة لدرجة أنها لم
تكن تتصت لزوجها ويظهر ذلك في الرواية، "كانت منصرفة إلى التحديق نحو الطريق: تارة
إلى اليمين وتارة إلى اليسار حيث كان البحر"²، فسعيد وزوجته مثل غيره من اللاجئين الذين
نفوا من بلادهم بسبب الحرب، ولكن عندما سمعوا بفتح الحدود بين الضفة الغربية وتلك
الحدود المعلقة بدءا يحنان إلى بيتهما وأرضهما " لم اكن أتصور أبدا أنني سأراها مرة
أخرى"³ هنا لم يصدقا بأنهما يمكن رؤية حيفا مرة أخرى لطول البعد الذي دام عشرين سنة
متتالية.

فالمكان الموجود في الرواية عبارة عن طابع حضاري، لأنه مسلوب من قبل
الصهاينة، لكن هذا السلب لم يجعل حيفا تفقد جمالها ومكانتها لان هذه المدينة تحمل هويتها
الوطنية.

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص5

2المصدر نفسه ، ص8

3 المصدر نفسه، ص2

هذه الأماكن بقيت راسخة في ذاكرة سعيد وزوجته صفية، لذلك نجد هذه الشخصية دائماً ترجع إلى الماضي وتسترجع الذكريات، وصورة المدينة التي كانت تتعم بالهدوء والراحة والأمان، إلا أنها فقدت هذه السكينة منذ أعوام كما جاء في قول الراوي، "كانت حيفا مدينة لا تتوقع شيئاً رغم أنها كانت محكومة بتوتر غامض¹"، فمدينة حيفا لم تتغير ولم يحصل أي تحول فيها قبل وبعد عشرين سنة.

- البيت:

البيت هو أهم الأمكنة عند الإنسان، فيه يحس بالأمان والارتياح، وبيت سعيد يوجد في الطابق الثاني من البناية" كان قد تزوج فيه قبل عام وأربعة أشهر من صفية، واستأجر بيته الصغير في تلك المنطقة التي حسب أنها ستكون أوفر آمنة² فالبيت هو بمثابة إطار تكاملي للإنسان

-السيارة:

سيارة سعيد (س) التي أتى بها من رام الله إلى حيفا "سيارة الفيات الرمادية التي تحمل رقماً أردنياً أبيض³" كما وصف لنا الحالة النفسية أثناء قيادته "طوال الطريق ... ظل يتحدث عن كل شيء ... حين وصل إلى أول بيت غاليم ربط الصمت لسانه، وها هو الآن في الحليصة يسمع أصوات عجلات سيارته تسير مثلما كانت دائماً، وكان النبض الصعب لقلبه

1 غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، ص 12

2المصدر نفسه، ص13

3 المصدر نفسه ، ص 7

المتوثب يضيعة بين الفينة والأخرى¹ " يظهر لنا من خلال هذا القول أن سعيد وصفية تأثرا حين وصولهما إلى حيفا باسترجاعهما للذكريات القديمة.

- الطريق:

تعتبر الطرق أماكن انتقال ومرور الشخصيات، وفيه وقعت معظم الأحداث في هذه الرواية "طوال الطريق كان يتكلم ويتكلم، يتحدث إلى زوجته عن كل شيء"² ونجد أيضا مقطعا آخر أثناء قيادته للسيارة "كانت سيارة الفيات الرمادية التي تحمل رقما أردنيا ابيض تشق طريقها نحو الشمال، عبر المرج الذي كان اسمه مرج عامر قبل عشرين سنة، وتتسلق الطريق الساحلي نحو مدخل حيفا الجنوبي"³ ومن هنا يتبين لنا الطرق التي سلكها سعيد "س" وزوجته صفية عند عودتهما إلى حيفا.

-الشارع:

يمثل طريق عودة سعيد (س) وزوجته صفية إلى حيفا، كما نجد في هذه الرواية أسماء بعض الشوارع منها، شوارع القدس "حين عبر الشارع ودخل إلى الطريق الرئيسي..."⁴ شارع الملك فيصل، ساحة الحناطير، الحليصة الهادار، الشوارع الفرعية.

كما نجد انه ذكر الأماكن أو المناطق المرتفعة المتصلة بشارع هوتزل حارة الحليصة وشارع النبي، واد النسناس، وادي رشميا، البرج، المدينة القديمة، شارع ستانتون، شارع

غسان كنفاني:عائد الى حيفا،ص6

2 المصدر نفسه ، ص 23

3 المصدر نفسه، ص 7

4 المصدر نفسه ، ص7

الحلول، فهذه الأماكن شغلت مخيلة سعيد (س) من أجل المحافظة على الهوية والانتماء، فالمكان هو الذي يحدد هوية الشخص.

- البناية:

هذه البناية تحوي البيت الذي ترك فيه لابن الصغير "خلدون" فهذه البناية بقيت على الصورة التي كانت عليها قبل عشرين سنة الماضية، وقد عمد الكاتب إلى ذكرها، لأنها ملتقى شخصيات الرواية، وفيها دارت أحداث الرواية، فالراوي ذكر بعض مكونات البناية "البوابة الحديدية الخضراء، الدرج، وبدأ يصعدان دون أن يترك لنفسه أولها فرصة النظر إلى الأشياء الصغيرة التي كان يعرف أنها ستحضره وتفقدته اتزانها: الجرس، لإقطة الباب النحاسية، وخرشيات أعلام الرصاص على الحائط ... حيث كان الباب يظل مواربا دائما¹" فهذه البناية بقيت راسخة في ذهن سعيد منذ عشرين سنة.

إن صورة حيفا القديمة هي نفسها بعد عشرين سنة، لم يتغير فيها شيء بل بقيت كما هي، لكن عند فتح الحدود اعتبرت هذه اللحظة ولادة جديدة للشعب الفلسطيني المغلوب والذي سلبت منه كل حقوقه، إلا أنهم تمكنوا من العودة إلى الوطن الذي فروا منه هاربين منه بسبب العدو الصهيوني، لكن عودتهم ليس لاستقرار فيه بل ليشعروا بالحسرة والندم لأنهم تخلوا عن هويتهم ونسوا واجبهم في تحرير الوطن واسترجاع حقوقهم التي سلبت منهم بالقوة.

1 غسان كنفاني: عائد الى حيفا، ص. 31

خاتمة:

لقد جعل المصير التاريخي للشعب الفلسطيني المثقف يلتجأ إلى النقد باستمرار، وكان ينظر إلى الخروج والهزيمة والمخيمات ويطالب البديل عن هذا، ومن خلال هذا البحث استشرقنا براعة غسان كنفاني، الذي استطاع أن يخلق من أحداث تاريخية عملا روائيا كبيرا ومميزا.

وفي الختام توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

تتعلق هذه الرواية من منطلقات فنية وموضوعية لها وزنها وأهميتها بالنسبة للحركة الروائية في فلسطين وأفاق تطورها نحو الأفضل.

تطرح مشكلة الزمان والمكان والشخصية مشاكل عدة مازال حلها بعيدا، إلا أن هناك بعض الروائيين الذين توصلوا إلى حلها، فهي تعتبر العمود الفقري للعمل الروائي وتؤكد فنيته، ولهذا فإنهم ركزوا على الفرد الذي يمثل بشكل أو بآخر محور العمل، ثم الاهتمام بالزمن والمكان الذي حدثت فيها الأحداث، لأن هذه الرواية عبرت عن الوضع السياسي والاجتماعي السائد في فلسطين، في حقبة زمانية معينة هي مرحلة اسلاب فلسطين وغرس الكيان الصهيوني وذلك لا يتأتى إلا بطرد الأهالي من ديارهم وحقولهم.

تجسد هذه الرواية حب غسان كنفاني لوطنه ورغبته الشديدة للعودة إلى الوطن أنها قضية تفكير الذين اخرجوا من ديارهم عنوة في العودة إلى الوطن لذا فالرواية تدخل فيما يسمى أدب القضية.

رسم لنا غسان كنفاني لوحة فنية، فجعل قلمه وسيلة للدفاع عن القضية الفلسطينية التي تعتبر أداة نضالية واضحة الهدف، وان هذه الخاصية هي العلامة الأصيلة التي توضح انتماء أدب غسان كنفاني ونوعيته فهو أدب ثوري حاول من خلاله أن يكون أداة من أدوات النضال.

وخلص القول إن إنتاج غسان كنفاني شكلا ومضمونا، قد بلغ به درجة عالية من الإتقان متصدرا الريادة بأعماله المكتوبة بالعربية لما يميزها من متعة وتواصل زمني صادق، وما هذه الرواية إلا لقطة من حياة الإنسان الفلسطيني في صراعه الدؤوب مع الكيان الدخيل.

المراجع والمصادر:

المصادر:

- غسان كنفاني: عائد إلى حيفا، دار العودة-بيروت.
- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان ط4، 1999. المجلد7.

المراجع:

- جيرارجينيت: خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي. د ط، 2003
- حميد الحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر، الدار البيضاء، المغرب. د ط. 2000
- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التثوير). ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت 1997.
- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة "تحليلاً وتطبيقاً"، ديوان المطبوعات الجامعية. الدار التونسية للنشر. د ط ، د ت.
- شمس الدين موسى: "كلمات على ضفاف الواقعية"، منشورات وزارة الثقافة و الاعلام-الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة-بغداد 1980.
- صبحية عودة زعرب: "غسان كنفاني" جماليات السرد الروائي، دار مجلاوي.الأردن.